

## المحاضرة السابعة:

طراز العصر المملوكي The Mamluks (1250-1517)

### الممالك البحرية والبرجية

#### محاوِر المحاضرة:

- تمهيد تاريخي.
- العمارة.
- الزخارف المعمارية.

## طراز العصر المملوكي The Mamluks (١٢٥٠-١٥١٧)

المماليك البحرية (٧٩٢-٦٤٨هـ) (١٣٩٠-١٢٥٠م)

المماليك البرجية (٩٢٣-٧٨٤هـ) (١٥١٧-١٣٨٢م)

### تمهيد تاريخي:

في الوقت الذي تمكن فيه المغول من بسط نفوذهم على الجزء الشرقي من العالم الإسلامي العراق وإيران، نجد أن العالم الإسلامي الغربي مصر وسوريا كان تحت سيطرة **عنصر تركي عرف باسم "المماليك"**، ويرجع أصل المماليك إلى قبائل التركمان الرحل التي استوطنت بلاد القوقاز وآسيا الصغرى وتركستان وبلاد ما وراء النهرين. وكانوا في أول عهدهم أرقاء يشتريهم الحكام المسلمون في أنحاء العالم الإسلامي من أسواق آسيا، ثم يقومون بتربيتهم تربية عسكرية ليكونوا حرساً خاصاً. وكان هذا النظام متبعاً منذ العصر العباسي، كما قام الأيوبيون في فترة حكمهم لمصر وسوريا بشراء أعداد كبيرة منهم للاستعانة بهم في محاربة الصليبيين. وقد تزايد عددهم في أواخر عهد الدولة الأيوبية في فترة حكم **الملك الصالح نجم الدين أيوب** -آخر سلاطين الدولة الأيوبية فشيّد قلعة لسكناهم ومن ذلك اكتسبوا اسم المماليك البحرية.

**استفحل أمر المماليك بعد أن تولوا مناصب قيادية في الدولة الأيوبية، واشتد نفوذهم وسطوتهم في عهد**

**السلطان الصالح أيوب**. وأسسوا دولة المماليك البحرية في عام ٦٤٧هـ/١٢٥٠م. ولقد اشتهرت مصر في عهدهم بفترة انتصارات حربية رائعة على الصليبيين. كما انقذت مقاومتهم الباسلة للمغول وهزيمتهم في موقعة **عين جالوت**، في عام ٦٥٨هـ-١٢٨٠م، الأراضي المصرية من تدمير كان يمكن أن يصيبها من هؤلاء الغزاة الذين بدأوا في الزحف من العراق إلى بلاد الشام، وكان هذا الانتصار تحت قيادة السلطان "قطز".

انتهى حكم دولة المماليك البحرية لمصر وسوريا في عام ٧٨٤هـ-١٣٩٠م على يد طائفة من المماليك الشركسية الذين يرجع نسبهم إلى بلاد الشركس وجورجيا. وكان عددهم قد كثر في عهد السلطان المملوكي قلاوون، حيث قام بشراء أعداد كبيرة منهم أسكنها في أبراج القلعة مما أكسبهم اسم المماليك البرجية.

## العمارة Architecture:

للفترة المملوكية أهمية خاصة في محيط تطور الفن الاسلامي في الجزء الغربي من العالم الاسلامي، حيث ظهرت في مصر وسوريا **عناصر من الفنون التركية التي ادخلها المماليك** , ويعد ذلك خطوة مهمة ترتب عليها انقلابات فنية جوهرية في الفن الاسلامي الموجود في هذه المنطقة حيث **امتزجت الاساليب التركية بالأساليب الفاطمية الموجودة في مصر وانبثق من هذا الاسلوب فن مملوكي جديد** .

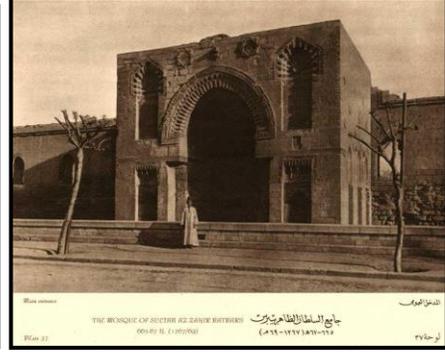
وتعد فترة حكم دولة المماليك لمصر العصر الذهبي لفن المعمار الإسلامي، وذلك لاهتمام سلاطينهم البحريين والبرجيين بتشييد المساجد والمدارس والأضرحة التي أكثرها من تشييدها. ومن أهم مشيدات سلاطين المماليك البحرية، **جامع الظاهر بيبرس** و**جامع ومدرسة السلطان قلاوون** و**جامع مدرسة الناصر محمد بالقلعة وجامع ومدرسة السلطان حسن**.

## عمارة المساجد: Mosque architecture:

نشطت حركة العمارة في مصر في عهد السلطان "الظاهر بيبرس". حيث تأخذ العماير الدينية منذ تلك

**الفترة في الارتفاع**، ويظهر ذلك في جدران جامع "الظاهر بيبرس" "The Mosque of "Sultan al-Zahir Baybars". ويتضح من دراسة هذا الجامع، أن تخطيطه لم يخرج عن التصميم القديم، فهو يتكون من صحن تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة. كما أن **بوابته البارزة عن الواجهة أسلوب معماري وجد من قبل في "جامع الحاكم"**.





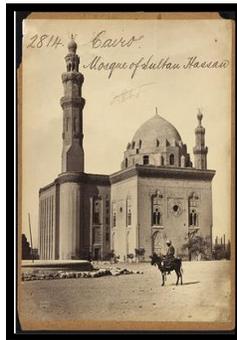
مسجد الظاهر بيبرس وتظهر بوابته المشابهة لبوابة جامع الحاكم، القاهرة، العصر المملوكي

The Mosque of Sultan al-Zahir Baybars in Cairo

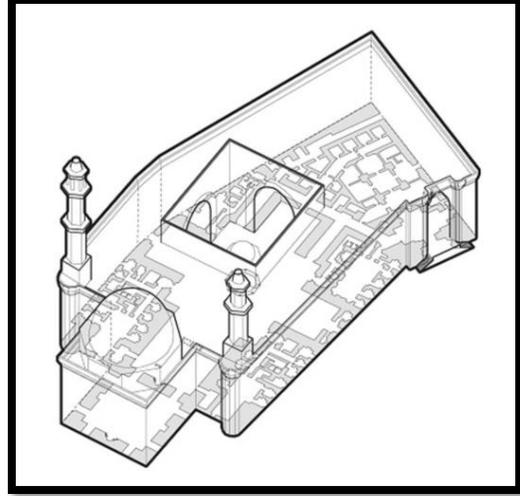
### عمارة الأضرحة والمدارس **Mausoleum and Schools Architecture**

انتشر في عهد المماليك الاهتمام بتشييد المدارس التي يلحق بها ضريح، فشيد **الظاهر بيبرس** مدارس لتعليم الدين، كما شيد **السلطان قلاوون** مبنى به مدرسة وضريح ومارستان في الفترة ٦٨٣هـ، ومن أروع العمائر الدينية **مسجد مدرسة "السلطان حسن وضريحه" Mosque-Madrassa of Sultan Hassan**، الذي استغرق بناءه الفترة من ٧٥٥-٧٦٤هـ، ويعتمد تصميم هذا الجامع على شكل صليب ويقع صحن الجامع المربع في مركز التعامد، وتحيط به من الجهات الأربع مبان تتوسطها ايوانات خصصت لدراسة المذهب السني، أكبرها الايوان الذي توجد به القبلة.

ويتميز المسجد بمدخل فخم عالي يبلغ ارتفاعه ٣٧,٨٠ مترا، ويخرف البوابة من اعلى حنية كبيرة عالية تنتهي بأشكال المقرنصات التي تذكرنا بمدخل المباني السلجوقية. وتضفي هذه البوابة الفخمة بزخارفها الحجرية البسيطة، تأثيرا جميلا على المدخل، واليها يرجع الفضل في اعتبار هذا المسجد من روائع العمارة الاسلامية في مصر.



تصميم جامع  
السلطان حسن  
بالقاهرة



الايوان الشرقي  
ويظهر فيه  
المحراب الرخامي  
والمنبر، القاهرة،  
عصر المملوكي

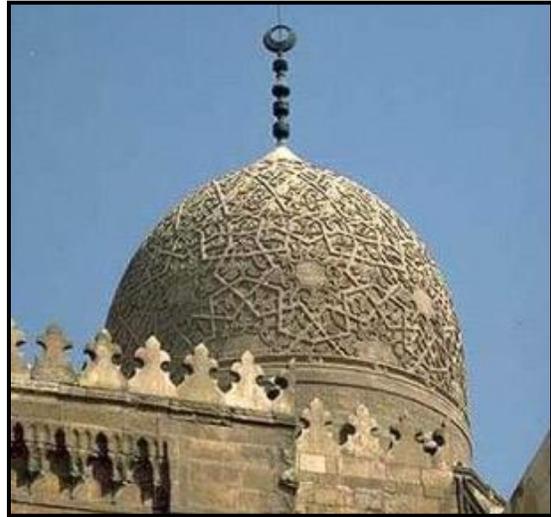


مدخل جامع السلطان حسن، ٧٥٥هـ،  
القاهرة، العصر المملوكي  
وتظهر المقرنصات اعلى المدخل في  
الصورة الاخرى.



وتتميز العمائر الدينية المملوكية بضخامة المداخل والقباب. ويزداد ارتفاع القبة في عهد المماليك البرجية وكان الغرض من الارتفاع بها هو اضافة المزيد من الجلال والهيبية على المبنى الديني، واخذت القبة اشكالا عديدة في ذلك العصر وأكثرها انتشارا كان شكل الخوذة المزخرفة بالغاثر والبارز، كما في قبة مسجد "السلطان قايتباي" "Sultan Qaitbay".

قبة مسجد قايتباي  
وتظهر الزخرفة  
النجمية، القاهرة، العصر  
المملوكي



## الزخارف المعمارية: Architectural decorations:

لم يظهر في عصر المماليك اسلوب زخرفة السطح بكسوة من البلاطات والفسيفساء الخزفية التي كانت مستخدمة في عصر السلاجقة في إيران، لكنهم استخدموا بدلا من ذلك بلاطات الرخام المعشق بوحدة هندسية مختلفة الألوان، وبذلك تمكنوا من الحصول على تأثير زخرفي جميل. ومن أجمل الأمثلة على ذلك ما وجد في محاريبهم، مثل محراب مسجد السلطان حسن السابق ذكره.

محراب جامع  
السلطان حسن،  
القاهرة، عصر  
المملوكي

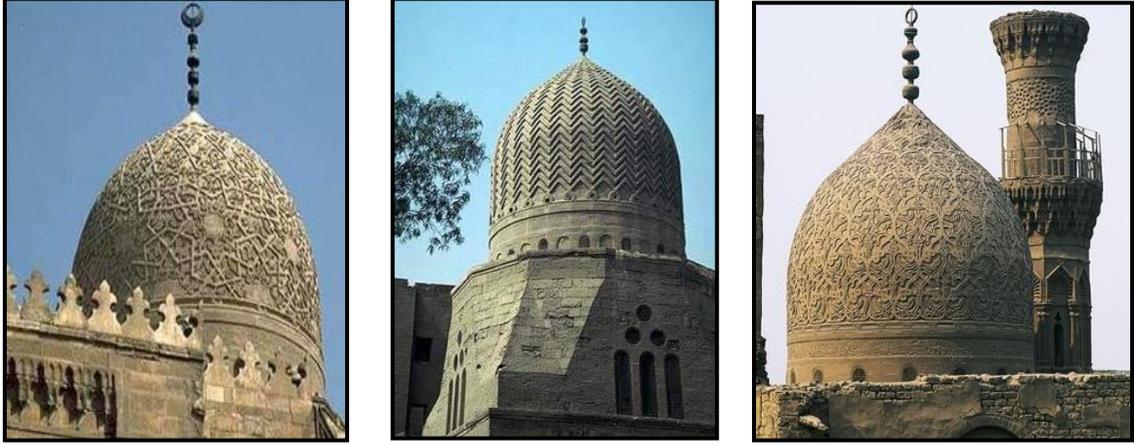


كما أستخدم هذا الأسلوب في كسوة الأرضيات. واستخدموا ألوان الأحجار المختلفة الأبيض والأصفر، أو الأبيض والأحمر أو الأسود في زخرفة جدران مشيداتهم للحصول على تأثير جميل، ويظهر ذلك في واجهات مسجد قايتباي.

مدرسة وضريح ومسجد قايتباي، القاهرة ،  
٨٧٧هـ، عصر المملوكي



ومن ناحية النقوش لقد تمكن الفنان من النقش على الاسطح الحجرية بمهارة كبيرة واحسن النماذج لذلك قباب مساجد وأضرحة المماليك، ويغلب على هذه الزخارف المنقوشة , **الوحدات النجمية التي ازدهر بها العصر المملوكي** , ولقد انتشر في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي استخدام العناصر النباتية في زخرفة القباب .



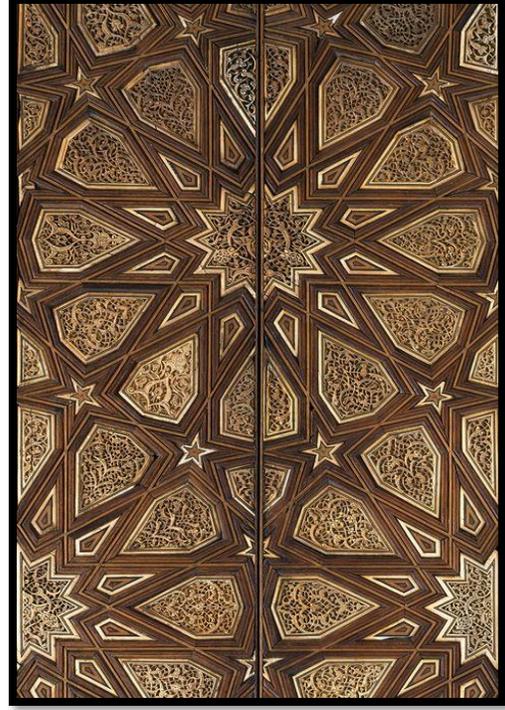
مجموعة من القباب المملوكية بزخارف مختلفة، القاهرة، عصر المملوكي

## الفنون الصغيرة:

### الحفر على الخشب:

ظهر تطور كبير في الزخارف المحفورة على الخشب في مصر في عهد المماليك، حيث أغفل الفنان المصري نهائيا استخدام الوحدات والعناصر الحية التي اشتهر بها العصر الفاطمي **واقبل على الاشكال النجمية التي برع في تكوين زخارف منها**. وتتكون هذه الأشكال الهندسية النجمية من حشوات صغيرة تتألف من اشكال سداسية الاضلاع مزخرفة بالفروع النباتية المورقة الدقيقة، ويتوسط هذه الحشوات اشكال نجمية مزخرفة بنقوش نباتية دقيقة اطلق عليها اسم **(الاطباق النجمية)** كما في الشكل , وانتشر استخدام هذه الزخارف النجمية في الابواب والمنابر الخشبية المملوكية التي صنعت في القرون الثالث والرابع والخامس عشر الميلادي .

باب من الخشب مطعم بالعاج، القاهرة،  
اواخر القرن ٧ هـ ١٣م، العصر  
المملوكي متحف المتروبوليتان.



## الزجاج:

كانت دمشق منذ عهد الظاهر بيبرس من اهم مراكز انتاج الاواني الزجاجية المملوكية في سوريا، ويرجع الفضل في انتاج الاواني الزجاجية المزججة بالمينا الجميلة التي صدرت الى البلاد الأوربية ومصر، الى الصناع السوريين، وتتكون زخارف هذه الاواني من عناصر نباتية وكتابية.

ومن اجمل ما انتج بكثرة في العصر المملوكي **قناديل زجاجية** كان الحكام المماليك والامراء يأمرؤن بصنعها لتوضع في المساجد، وكانت هذه القناديل من الزجاج المموه بالمينا والذهب ولها شكل مميز وتعرف باسم "**المشكاوات**"، وتحمل هذه الاواني اسماء اصحابها وشاراتهم ونقوشا كتابية دعائية للسلطان الحاكم بالإضافة الى الزخارف النباتية والكتابية كما في الشكل .

مشكاة من الزجاج المموه  
بالمينا، القاهرة، القرن ٨هـ  
١٤م العصر المملوكي،  
المتحف الاسلامي، القاهرة



## التصوير:

ازدهر فن التصوير الإسلامي في العصر المملوكي , ولقد حافظت على التقاليد والأساليب المحلية التي تميزت بها المدرسة العربية في العراق مع بعض الأساليب الإيرانية , وقد اجتمع مع هذا الخليط بعض التأثيرات المغولية التي ظهرت في العراق بعد غزوها بالمغول , ونتج عن هذا المزيج أسلوب جديد تميز به العصر المملوكي , وابدع هذه الأمثلة وجد في الصور التي تزين نسخة من مخطوطة "مقامات الحريري" التي تصور الحاكم جالسا في وضع المواجهة وفوق رأسه مظلة يحملها ملكان , ونلاحظ في تكوين هذه الصورة التأثير بنماذج وجدت من قبل مثل كتاب الترياق وكتاب الأغاني لابي فرج الاصفهاني .

الصورة الامامية لمخطوط  
"مقامات الحريري"، القاهرة  
٧٣٤هـ يصور الملك جالسا  
بوضع المواجهه وفوق رأسه  
مظلة وذلك من علامات  
السلطة عند الاتراك , حاليا  
بالمكتبة الأهلية بفيينا



وتبدو الأشخاص المرسومة في المخطوطة المملوكية جامدة خالية من الحركة والحياة، كما يظهر في سحتهم الشبه المغولي او التركي البعيد عن الشبه العربي فالوجوه مستديره بأعين لوزية ضيقة مائلة بالرغم من ان الحاكم يرتدي العمامة العربية، ونلاحظ ان الصورة أصبحت تحدد بإطار وهذا من اهم خصائص التصوير في هذه المرحلة.